أضواء على الحرف والصناعات بمكة المكرمة
من خلال "كتاب العقد الثمين" للفاسى

دكتور/متعب بن حسين القثامى
الكلية الجامعية ـ جامعة أم القرى
مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية

مقـــدمـــة:

أن دراسـة الحيـاة الحرفيـة والصـناعية مـن اقـل الموضـوعات التـى تناولهـا المؤرخـون بالدراسـة نظراً لقلـة المعلومـات الكافيـة لإعطائنـا صـورة واضحة عن هذا الجانب الحضاري، إلى جانب اقتصار الكتب التاريخية على الجانـب السياسـي، وهذا لايشـفي غليل الباحث فى هذا الجانـب، فكـان علـى الباحث التنقيب والبحث الدؤب فى كتب الأدب والجغرافيا وغيرهما لإعطاء صورة مكتملة عن الحرف والصناعات عامة وفى مكة المكرمة خاصة، ومع قلة المادة العلمية لم أكن يائساً في أن أجد بعض المعلومـات التى تدل على وجود هذه الحرف والصناعات المتعددة عند أهالى مكة المكرمة فى كتب التراجم، والتـي حظيت بـالكثير من المعلومـات عن الحرفين والصناع وهذا موضوع البحث، حيث قمت بـالتركيز على أهم الحرف والصناعات الأكثر نشاطاً، وسوف نناقشها على النحو التالي:

أ- الحـرفـــة:

الحرفة: في اللغة اسم من الأحتراف وهو الأكتساب، كما قيل مـأخوذة مـن تنميـة المـال يقـال جـاء فـلان بـالإحراف إذا جـاء بالمـال الكثيـر، وفـلان يحـرف لعيالـه ويحتـرف، بمعنـى يكتسب بعملـة مـن هاهنـا وهاهنـا [1]، وقيل الحرفة هي الصناعة، والمحترف هو الصانع، وفلان حريفى، أي معاملي [2] وحرفة الرجل صنعته، وحرف لأهلة واحترف، بمعنى كسب ايا كان [3] .

إما الحرفة في المعنى الاصطلاح فهي: الطعمة والصناعة التى يرتـزق منـها، وهى جهة الكسب، وكل ما اشتغل الإنسان به، فإنـه عند العرب يسمى صنعة وحرفة وقد روى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه انه قال: «أنى لأرى الرجل فيعجبني، فأقول هل لـه حرفـة؟ فـإن قـالوا: لا، سـقط مـن عينـي»

---

[1]- الأزهـرى ، تهـذيب اللغـة ، تحقيـق عبـدالله درويـش، مراجعـة محمد علـى النجار،القـاهرة (د - ت) جـ5صـ16؛ ابن منظور (محمد بن مكرم بن على ت711 هـ / 1311م) لسان العرب، دار المعارف، القاهرة (د.ت) جـ2 صـ839 ،الخزاعي، (على بن محمد بن سعود، ت789 هـ / 1378م) تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله علية وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1985، صـ 775.

[2] - الجـوهري (إسماعيل بن حمـاد، ت393هـ / 1003م) الصحاح تـاج اللغة وصحاح العربيـة، تحقيـق احمد عبد الغفور عطار، بيروت لبنان1984،جـ 4 صـ1342.

[3] - ابن منظور، مصدر سابق ،جـ2صـ839، الخزاعي، مصدر سابق، صـ775.

[4]. فالحرفة إذاً تطلق على كل عمل يقوم به الإنسان، فهي طريقة الكسب ووسيلة المعاش.

ب- الصنعــة:

والصنعة هي حرفة الصانع وعمله الصنعة [5]، ورجل صنيع اليدين، وصنيع اليدين أي صانع حاذق يعمل اليدين، [6] والصناع (جمع صانع): وهم الذين يصنعون أو يعملون بأيديهم[7].

فالصناعة بالمعنى الاصطلاحي: عبارة عن عمل يدوى يجرية الصانع فى صنعته ويكون مما يغير فى ذات الموضوع كالتجارة والحدادة والصياغة، وفى هذه وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير اسم مادته [8].

ويبدو أن مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة حيث يدخل فى نطاق الحرفة، كل عمل يقوم به الإنسان، فالحرفة هي «الطعمة والصناعة التى يرتزق منها، وهى جهة الكسب والاحتراف هو الاكتساب أيا كان» [9] . وبهذا تكون الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب فيه الإنسان وينصرف للكسب، حتى تشمل التجارة، الخياطة، الصباغة، الدباغة، الوراقة، الحدادة، النجارة 000الخ.

أما الصناعة فهي عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها، وهذا يتطلب استغلال ثروات البلاد الطبيعية من حاصلات زراعية، ومعدنية، وتسخيرها لخدمة الصناعة، وهذه الصناعات التحويلية يمكن أن نطلق عليها إسم "الحرف الصناعية" وهى بمفهومها تدخل فى مفهوم الحرفة، ونجد في مصادر الغرب الإسلامي ما يشير إلى ذلك، فهذا المجليدى يشير إلى "أهل الحرف والصنائع" ويذكر منهم «الدباغ، الخراز،

---

[4] - الزبيدى (محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد الحسيني الواسطى، ت 1205 هـ / 1805 م) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الفتاح الحلو، مراجعة مصطفى حجازي، الكويت 1984 ، ج23 ، ص133-134؛ جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلم، بغداد1978، ج7 ص505.

[5] - الجوهري، مصدر سابق، ج3ص1245، ابن منظور، مصدر سابق، ج4ص2508، الخزاعي، مصدر سابق، ص776، الزبيدى، مصدر سابق ج21، ص364.

[6] - الجوهرى، مصدر سابق، ج3ص1246؛ ابن منظور، مصدر سابق ج4ص2508؛ الخزاعي، مصدر سابق ص776 .

[7] - الأزهرى، مصدر سابقج4ص38.

[8] - ظاهر خيرالله الشويرى، الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف، القاهرة 1904 م ، م19 ج1ص57- 58.

[9] - ابن منظور، مصدر سابق ، ج4 ص2508؛ الزبيدى، مصدر سابق، ج23، ص133.

الصائغ، الخياط، النجار، الحداد» [10] وهذا يشعرنا بوجود فارق بين الحرفة والصناعة. وهذا ما سوف نتناوله بإذن الله.

1- حرف وصناعات غذائية:

إن الأحوال المعيشية بمكة المكرمة، كانت بصفة عامة تتسم باليسر، ويعود ذلك إلى اعتماد اقتصاد المجتمع المكي على التجارة والصدقات التى ترد عليها بصفة دائمة من البلاد المجاورة مع موسم العمرة والحج، لذلك تنوعت الحرف الغذائية.

تمثل صناعة الخبز من أهم الصناعات نظراً لكثرة استعماله، فكانوا يتناولونه في أي وقت ويأكلونه بمفرده، أو يقدم مع بقية الأطعمة، لذلك كثر أنواعه ويعد القمح من أهم أنواع الحبوب التى كانت تزرع في الحجاز ولا سيما بالطائف، إلى جانب ما يحمل إليها من قمح الشام [11]، ودشيشه [12] السلطان برقوق [13]، كما وزع الحبوب والغلال عليهم، حتى انخفض سعر الحبوب انخفاضا كبيراً [14]، ودشيشة جقمق [15].

---

[10] - المجليدى ، (أحمد سعيد من علماء القرن 6هـ/ 12م) التسير في أحكام التسعير، تحقيق موسى إقبال، الجزائر 1970، ص83-93 .

[11] - الفاسى، (تقي الدين محمد بن أحمد الحسنى المكي ت 832 هـ / 1428م) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة 1964م، ج3ص175 .

[12] - الدشيشة: مصنوع من القمح،كان يرسل من بين الجريات إلى أهل الحرمين الشريفين ، ليطعم به الفقراء والمستحقون فى العصر المملوكى، انظر مصطفى عبدالكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة بيروت 1996م، صـ182.

[13] - السلطان برقوق (784 هـ / 1385م) أخذ من بلاد الجركس، وبيع ببلاد القرم فجلبه الخواجا فخر الدين عثمان بن مسافر إلى القاهرة، واشتراه الأتابكى يلبغا فسماه برقوقاً لنتوء فى عينيه، تولى السلطنة يوم الأربعاء 19 رمضان عام 784هـ / 1385م، وكان قد عمر رخام الحجر الشريف على يد الأمير بيسق، وذلك فى شهر رمضان عام 801 هـ / 1398م، وكان يحب الفقراء ويتواضع لهم ويتصدق كثيراً، وأبطل فى ولايته كثيراً من المكوس، وكان من أعظم سلاطين المماليك الجراكسة. للمزيد انظر المقريزي (تقي الدين أحمد بن على ت 845 هـ / 1442م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة 2004م، ج2ص241؛ عمر بن فهد،(نجم الدين ت 885 هـ /1480م) إتحاف الورى بأ خبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت، مكة المكرمة، 1404 هـ / 1984م، ج3ص412؛ ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن العماد ت 1089 هـ / 1678م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت 1399 هـ/ 1979م، ج7ص6-7 .

[14] - ابن أياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت930 هـ / 1524م) بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة1963، ج1ص160- 161.

[15] - السلطان جقمق هو الملك الظاهر أبو سعيد الدين الجركسى العلائى، اشتراه العلائى على بن إينال اليوسفي وقدمه إلى الملك برقوق فأعتقه واستخدمه ثم حبس أيام الملك الناصر فرج ثم أطلق سراحه، وولى عدة أعمال فى دولة السلطان المؤيد شيخ والظاهر ططر ثم أصبح أتابك فى دولة الأشرف برسباى ، إلى أن تولى السلطة. للمزيد انظر ابن تغرى بردى،(أبو المحاسن جمال الدين يوسف ت 874 هـ /1469م)النجوم الزاهرة فى ملوك مصر القاهرة 1970م، ج5ص256- 464؛ السخاوى

وحين تولى السلطان قايتباي المحمودى [16] أضاف مجموعة من القرى مثل قرية دمامين [17] ووكالة [18] فى باب النصر [19]، ومجموعة دكاكين يصرف ريعها لعمل الدشيشة. كل ذلك أوجد بكثرة القمح بمكة المكرمة ، لذلك وجد من يقوم ببيع القمح ، يقول الفاسى «وكان السيد حسن [20] فى موسم سنة سبع عشر وثمانمائة تخوف من أمير الحاج المصري [21] ... والتزم له مما يحسن من الخدمة وللسلطان، بثمن ما أخذه من الغلة التى بعثها السلطان للبيع [22] لذلك توفر الطحانون بمكة المكرمة مثل حسن بن احمد بن هلال الطحان [23]، أتخذ لقبه من عملية طحن الغلال، وبعد ذلك تأتى مرحلة العجن والنضج فى الأفران والتي كانت توقد بالحطب، لذلك يقول الفاسى «احمد بن محمد بن حسب القرشي ... مات أبوه وهو صغير فا ستولى على ماله أخوه على ... وعوضه بيسير من النقد والعقار، فأ ضاعة الآخر، واحتاج إلى أن صار يتكسب بالحطابة» [24] لذلك انتشر الخبازون بمكة المكرمة وعن ذلك يقول الفاسى «محمد بن عبد الرحمن...يكنى أبا حامد ...أجاز له محمد بن إسماعيل بن الخباز» [25] وكذلك محمد بن الخباز [26]،

،(شمس الدين محمد بن عبدا لرحمن ت 902ه / 1496م) الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع، القاهرة 1355 ه جـ3ص 71؛ ابن العماد الحنبلى، مصدر سابق جـ7ص291.

[16] ـ السلطان قايتباي المحمودى، تسلطن عام 872 ه / 1467م، وله الكثير من الأعمال والإصلاحات فى الحرمين الشريفين، فهو الذي بني القبة ووضع المقصورة الحديدية على قبر رسول الله ﷺ ورخم مسجده، وبني العديد من المدارس والأسبلة فى المدينتين مكة والمدينة وتوفى عام 901هـ/1495م، للمزيد انظر ابن العماد الحنبلى، مصدر سابق جـ8ص7 ؛ السخاوى، مصدر سابق جـ6ص206.

[17] ـ قرية دمامين: قرية كبيرة بالصعيد شرقى النيل على شاطئه فوق قوص وعليها بساتين ونخل كثير انظر ياقوت الحموى، شهاب الدين أبى عبدالله الحموى (ت 426هـ/1228م)معجم البلدان، دار صادر بيروت 1977 جـ2 صـ426

[18] ـ وكالة:

[19] ـ باب النصر: يقع باب النصر فى الجهة البحرية ، ونقل هذا الباب من المكان الذي وضعه جوهر الصقلي، إلى مكانه الحالي فى عهد بدر الجمالي وكان ذلك عام 480ه /1087م، وكان بجوار هذا الباب ساحات كثيرة مثل ساحة الجامع الحاكمي الواسعة جداً، انظر المقريزى، الخطط جـ2ص241.

[20] ـ السيد حسن بن عجلان، ولد عام 775 ه/ 1354م، تولى إمارة مكة المكرمة ونيابة السلطنة بمشاركة جماز بن هبه، ثم تولى ولاية مكة المكرمة مستقلاً 11 عاماً، كما كان شريكاً لإبنه بركات عام ونصف، توفى عام 829 ه / 1425م، انظر الفاسى مصدر سابق، جـ4ص86 وما بعدها.

[21] ـ والتخوف من أن يبيعه السيد حسن لحسابه بعيداً عن أمير الحج هو جقمق المؤيدى.انظر الجزيرى، (عبد القادر بن محمد(ت976ه / 1569م) درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض 1403ه / 1983،جـ1ص494-699.

[22] ـ الفاسى، مصدر سابق،جـ4ص119.

[23] ـ نفس المصدر, جـ1 ص371.

[24] ـ نفس المصدر, جـ3ص135 -136.

[25] ـ نفس المصدر, جـ2ص105-106.

[26] ـ نفس المصدر,جـ1ص369.

وهؤلاء الخبازون والذين غلبت حرفتهم كانوا يصنعون الخبز أقراص [27]، كما كانوا يصنعون الخبز الخشكار [28] وخلافة.

ويمثل اللحم احد مواد الطعام الأساسية لأثرياء مكة المكرمة، أما الفقراء فمن النادر أن يأكلوا اللحوم. وأشهرها لحوم الإبل والغنم والبقر[29]، وتطهى اللحوم بعدة طرق فمنها مايغلى، ويحسى مرقه، ويؤكل لحمة [30] ، وتوجد إشارات كثيرة عند الفاسى عن اللحم ولكن لايرد أي طريقه لطهيه فيقول «احمد بن محمد بن محمد ...كان صائم الدهر ...وكان لا يأكل ...ولا اللحم» [31] وان دل ذلك يدل على كون اللحم مأكل أهل مكة، إلى جانب أكل لحم الطيور يقول الفاسي «... وإذا أشتهى اللحم أكل الدجاج» [32].

ولكثرة المواسم والمناسبات التى أقيمت فى مكة المكرمة من زواج وولادة واحتفالات دينية، كثرة الولائم التى كان يمد لها السماط مثلما حدث أثناء زواج أحمد الجازانى على بنت خاله كسلا بنت مالك بن رومي الزبيدى [33] وعادة ما يطبخ طعام آخر مع اللحوم، ويقدم الخبز واللبن وبعض الفواكه [34].

وإلى جانب الخبز واللحم انتشرت صناعة لاستخراج السمن من اللبن حيث أرتبطت هذه الحرفة ببعض أهل مكة، يقول الفاسي «محمد بن إسماعيل ...انه قرأ على المقرى شمس الدين ابن اللبان» [35] وفى مكان أخر يقول "وابن اللبان" [36]، ويستخرج من هذا السمن حيث يرد ذكره كثيراً عند الفاسى [37] كما كان يصنع من اللبن قوالب الجبُن [38] .

---

[27] - نفس المصدر,جـ2 صـ240.
[28] - نفس المصدر,جـ1 صـ327.
[29] - الطبرى،(محمد بن جرير ت 310هـ / 922م) تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1979م، جـ4 صـ401
[30] - ابن سعد (محمد بن منيع الزهيرى ت 230 هـ / 844 م) الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عطا، بيروت 1410 هـ/1990مجـ4صـ124
[31] - الفاسى، مصدر سابق جـ3صـ173.
[32] - الفاسى، مصدر سابق جـ3صـ175.
[33] - العز بن فهد، (عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد ت922هـ /1516م) بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق صلاح الدين خليل إبراهيم وأخرون، القاهرة 2004م، جـ2 صـ825 .
[34] - ابن سعد، مصدر سابق جـ1 صـ147
[35] - الفاسى، مصدر سابق،جـ1 صـ417.
[36] - نفس المصدر،جـ2صـ106.
[37] - نفس المصدر،جـ2صـ298،جـ3صـ46،صـ175
[38] - نفس المصدر،جـ2صـ240.

كما عرف أهل مكة طريقة صناعة العصيدة (39) وهى عبارة عن دقيق يلت بالسمن، ثم يطبخ بالماء وتكون متوسطة القوامويستخدم السمن عند تقديمها (40)، أما إذا صنعت غليظة فهي اللفيته لذلك فهى تسمى العصيدة المغلظة (41). لذلك انتشر الطباخون بمكة المكرمة وعن ذلك يقول الفاسى «يوسف بن نصير بن عبدالله المصري...عمل طباخاً بالمسعى » (42) .

وعرفت أهل مكة حرفة (الجمع) فقد وجد فى بيئتهم ما يمكن الاستفادة منة فى سد الحاجة للشخص أو بيعه واخذ ثمنه وكان على رأس الأشياء التى تجمع ويستفاد منها (الحطب) وكان مصدر رزق لبعض الناس نظراً لعدم تطلب هذه الحرفة لرأس مال معين بل لايحتاج الرجل فية أكثر من فأس وحبل، وقد لايحتاج إلى هذا فى بعض الانواع من الجمع فمن قام بهذه الحرفة يقول الفاسى «احم نفس المصدر, د بن محمد بن حسب الله القرشى...يتكسب بالحطابة »(43) .

ومن حرف (الجمع) جمع التمور والبلح والرّطب حيث انتشرت زراعة النخيل فى المناطق المحيطة بمكة، فتكثر فى قرية «معدن البرم» (44) ذات المياه الوفيرة المستمدة من الآبار، وكذلك بالفرع (45)، وكذلك نخلة محمود (46)، وكان يجمع تمر ورطب هذه المزارع يمد به أسواق مكة

---

[39] - نفس المصدر،جـ5صـ242.

[40] - ابن قتيبة، (محمد بن عبدالله بن مسلم ت 276هـ /981م) عيون الأخبار، القاهرة 1925م،جـ3 صـ201.

[41] - الهام احمد البابطين، الحياة الأجتماعية فى مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموى، الرياض 1419 هـ/1998مصـ308

[42] - الفاسى، مصدر سابق،جـ7 صـ499

[43] - القاسى، مصدر سابق،جـ3صـ135-136. يقول رسو الله ﷺ «لأن يأخذ أحدكم حبلا فيأ خذ حزمة من حطب فيبيع فيكف الله به وجهة خير من أن يسأل الناس أعطى أم منع» انظر مالك بن أنس (الامام ت 179هـ/795م) الموطأ، تقديم فاروق سعد، بيروت 1401هـ /1981 مصـ847.

[44] - معدن البرم، قرية بين مكة والطائف، البغدادى (عبد المؤمن عبد الحق (ت739 هـ /1338م) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق على محمد البجارى، بيروت 1954م، جـ3 صـ1287

[45] - الفرع قرية نواحى الربذة بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة، انظرالبغدادى، نفس المصدر، جـ3 صـ1028- 1029.عاتق البلادى (المعالم الجغرافيه بالحجاز) جـ صـ ؟!

[45] - نخلة محمود، موضع بالحجاز قرب مكة وهى المرحلة الاولى للصادر من مكة، انظر البغدادى، مصدر سابق جـ3 صـ1364.

[46] - الفاسي، مصدر سابق،جـ3صـ173،جـ5 صـ477 .

حيث ورد ذكر التمر والرطب عند الفاسى فى عدة مواضع وإضافة إلى ذلك فقد كان جمع العسل من الأشجار والكهوف(47).

من الحرف المعروفة بالطائف،التى اشتهرت بكثرة مناحلها حتى كان العسل من كثرته فى الطائف يصدر إلى المناطق الأخرى مثل مكة حيث ورد ذكره فى كثير من المصادر التاريخية (48)، ولكن أهم من العسل الشمع الذي كان يصنع منه الشموع التى كانت تقاد به الثريات بالمساجد [49] لذلك يورد لنا الفاسى الكثير ممن قاموا بصناعة الشمع لدرجة أنه نسب إليها من يزاولها مثال ذلك «محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الدمشقي القاضي أمين الدين المعروف بابن الشماع نزيل مكة» [50] وكان الشمع يسلم كأمانة لفراشي الحرم الشريف وذلك لإستخدامه في الإضاءة يقول الفاسى «أحمد بن عبد الله الدورى المكى الفراشى بالحرم، وأمانة الزيت والشمع» [51] كما أستخدم الشمع أيضاً فى زفة العريس فى طريقه إلى بيت العروس، ووصل عدد الشموع فى بعض الأفراح مائة شمعة، وزن كل شمعة مناً [52] وإن تعذر فى الحصول على الشمع يعار شمع المشجد الحرام [53].

2- حرفة العطارة والصيدلة:

العطارة مشتقة من العطر بكسر العين وهو الطيب، والعطار هو بائع الطيب وحرفته العطارة [54] وهو لايقتصر فى عمله على بيع العطر وإنما يبيع الأعشاب الطبية المختلفة الأخرى التى تستعمل فى أمور أخرى مختلفة، فهو يبيع الأعشاب التى تستعمل فى علاج المرضى، فكل عطار هو الى الصيدلة أقرب منه إلى العطارة، وكانوا يسمون الصيدلة بيع العطاره، وكانوا يسمون العطار أحياناً بالصيدلى[55]. لذلك أطلقنا تسمية العطارة والصيدلة وقرناهما ببعضهما لأنهما كانا فى العمل سواء، ويقتصر في التسمية على

---

47 - أبن فهد، مصدر سابق، ج2 ص722،ج3 ص1625، 1626؛ عبدالعز بن عمر ابراهيم العّمرى, مرجع سابق, ص 5-6.

48 - أبن فهد،ج2 ص720 .

49 - نفس المصدر،ج16،17ص1182.

50 - الفاسى، مصدر سابق، ج1 ص398،ج2 ص279.

51 - الفاسى، مصدر سابق,ج3 ص75 - 76.

52 - المن، وحدة من وحدات الوزن يساوى رطلين، وكل رطل 130 درهماً، ويختلف تقديره حسب وجود إستعماله فى الدول الإسلامية ويبلغ وزنه 833 جرام، أنظر ابن المجاور، مصدر سابق ص13.

53 - العز بن فهد، بلوغ القرى، ج 2 ص 722.

54 - نفس المصدر، ج7ص403.

55 - عبد العزيز بن إبراهيم العمري، الحرف والصناعات فى الحجاز فى عصر الرسول (ص)، الرياض1420هـ، ص254

(العطار) ولا يزال العطارون منتشرون فى كثير من البلاد العربية والإسلامية ويسمون بنفس التسمية [56] ويبيعون الأعشاب إضافة إلى الطيب في الأسواق.

وتتفق المصادر على أن أكثر حرفة كان يمتهنها أهالي مكة المكرمة والمجاورون بها هي العطارة، وربما كان ذلك عائداً إلى أن العمل بمهنة العطارة كان شيئاً مربحاً، بسبب اهتمام الناس بهذا النوع من السلع فى تلك الفترة، وقد أورد الفاسى فى العقد الثمين أسماء بعض من عمل فى مهنة العطارة بمكة سواء من أهلها أو المجاورين بها. مثل شعيب الزعفراني [57]، ومن الواضح أن بيع الزعفران كانت مهنته، حيث كان الزعفران يستخدم في دهن الجسم [58]، ومن العطارين أيضا أبو الحسن بن إبراهيم بن فراس المكي العطار توفي يوم السبت يومين خليا من جمادى الأولى 822هـ/1420م[59]، وأيضاً الشيخ غياث الدين، وله معرفة بالطب، وكان يحسن للناس بما يحتاجونه من الأدوية [60] وكذلك محمد بن حمدان بن سلمه بن مسعود القحطانى المكى العطار [61].

وهناك بعض الأشخاص الذين يمتلكون دكاناً لبيع العطارة يقول الفاسى «محمد بن على بن عثمان الأصبهانى المكى، يلقب بالجمال ويعرف بالعجمي العطار ...كان له دكان بسوق العطارين [62]، عند باب بني شيبة [63].

---

[56] - الفاسي، مصدر سابق، جـ1صـ 294.

[57] - عبد العزيز بن إبراهيم العمري، مرجع سابق، صـ 258.

[58] - الفاسي ، مصدر سابق جـ1صـ396.

[59] - نفس المصدر جـ1صـ401.

[60] - نفس المصدر جـ2صـ11.

[61] - سوق العطارين: كان لهم سوق خاصة بهم فى كافة مدن العالم الإسلامى، وكانت تموج بحركة البيع والشراء، ومما زاد أهميتها، أن الطب الإسلامى قام فى مجمله على التداوى بالأعشاب، وعَرفت سوق العطارين بسوق النداء عند باب بنى شيبة وكان لهم شيخ يرعى تقاليد الحرفة وينظم حركتها، أنظر الأزرقى، (أبى الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد (ت 223 هـ / 837 م)، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تحقيق رشدى ملحس، مكة المكرمة 1416 هـ/ 1996م جـ2 صـ248؛ الفاكهى، (عبدالله بن محمد بن اسحاق ت 272هـ / 885م) أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثة، تحقيق عبدالملك بن دهيش، مكة المكرمة 1407 هـ/ 1986م، جـ2 صـ170.

[62] - باب بني شيبة = باب السلام، هو احد أبواب المسجد الحرام في الجهة الشرقية وفيه اسطوانتان بثلاث فتحات، وكل فتحه لها باب خشبي قوي وسميك بمصراعين، وفي المنفذ الأوسط باب صغير يفتح ليلا لمن أراد الدخول أو الخروج، وينزل إلي المسجد بأربعة مراقي داخله، وأحد هذه الأبواب بني في عهد الخليفة المهدي العباسي، ثم جدد بأمر السلطان سليمان خان بن سليم خان، وفى عهد السلطان عبدالمجيد فرش أمامه بالرخام وذلك عام 1266هـ. انظر الأزرقي، مصدر سابق جـ2صـ86، الفاسي،

ومن الأعشاب التي كان العطارون يسوقونها الحناء ،وكانت بكثرة في محلاتهم نظرا لزراعتها بمدن الحجاز [64] واستعملت الحناء لصبغ الشعر خصوصا من كان ذا شيب منهم، ويؤكد علي ذلك الفاسي بقوله «إبراهيم بن محمد بن احمد بن موسى بن داود المكي...كان شيخا مباركا يبيع الحناء والملح ونحو ذلك بالمسعى» [65] كما وردت إشارات كثيرة عند الفاسي عن العطارين مثل «أبو العلاء العطار» [66] و«الرشيد العطار» [67] و«عبد الله بن عبد الرحمن العطار» [68] وغيرهم كثير[69].

3- حرفة وصناعة النسيج والحياكة:

النسيج والخياطة حرفتان متكاملتان تدعم أحداهما الأخرى، فلا يمكن ممارسة حرفة الحياكة دون أن تتوفر المنسوجات التي بواسطتها يتم للحائكين ممارسة عملهم، ويؤكد على ذلك ابن خلدون بقوله «هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفه ... وهاتان الصناعتان قديمتان في الخليقة كما أن الدفء ضروري للبشر في العمران» [70]

لذلك كانت هذه الحرفة ضرورية احترفها أهل مكة المكرمة لإيجاد الأقمشة الخاصة بالملابس، وإن عجز سوق العمل عن الاكتفاء بها قام التجار باستيراده من المدن الأخرى مثل العراق والشام ومصر وغيرها[71]، وهذا الاستيراد من قبل أهل مكة المكرمة يدل على أن مستوى منتوجات النسيج بمكة لم تكن كافيه ولا جيدة النوعية.

وهذه الحرفة تمر بعدة مراحل حتى يصل الصوف إلى مرحلة الغزل والحياكة، ولكن الفاسي لم يورد أي ذكر عن هذه المراحل لذلك سوف نبحث عن هذه المراحل في مصادر ومراجع أخرى حتى يكتمل بناء الحرفة.

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقق عمرعبد السلام تدمري، بيروت 1985م ج1ص183؛ حسين عبد الله با سلامه، عماره المسجد الحرام، مكة المكرمة (د0ت) ص113-115.

63 - الفاسي مصدر سابق ج2ص157- 158.

64 - عبد العزيز بن إبراهيم العمري ،مرجع سابق ص255.

65 - الفاسي، مصدر سابق ج3ص239.

66 - الفاسي، مصدر سابق ج 2ص424.

67 - نفس المصدر ج 2ص 238.

68 - نفس المصدر ج2ص317

69 - للمزيد انظر الفاسي، مصدر سابق، ج3ص157- 158، ص213، ج4ص66، ص164، ص 344، ص347، ج5ص325، ص384، ج6ص 147، ص449.

70 - ابن خلدون: (عبد الرحمن ت 808هـ /1405م) المقدمة بيروت 1398هـ /1978م، ص411-412.

71 - الطبري مصدر سابق، ج7ص557،551.

يتوفر الصوف بكثرة نظرا لوفرة الثروة الحيوانية في الحجاز، وبالتالي استفاد أهل مكة من هذا الصوف فقام الناس بغزله والاستفادة منه حسب الإمكانيات المتوفرة، فقامت النساء في الغالب بعملية الغزل[72] باستخدام المغزل الذي يقوم بتحويل الصوف إلي خيوط[73]، ثم تأتي بعد ذلك عملية الصباغة، فوجد عند الفاسي العديد من العلماء الذين ارتبطت بهم حرفتهم مثال ذلك، الشيخ أبي الحسن بن الصباغ [74].

وبعد ذلك يستلمه الخياط حيث ورد ذكر الكثير من الخياطين لدرجة انه وجد باب بأسمائهم[75] فيجلس بجواره الكثير ممن يمتهن هذه الحرفة مثل محمد بن ميمون الخياط،[76] كما وجد خياطون بجوار باب بني شيبه مثل إبراهيم بن حسين المكي الخياط[77]، وكذلك خياط لم يحدد الفاسي مكان محله الذي يخيط فيه مثل «عبد الرحيم بن احمد بن عبد الخالق بن احمد اليوسفي ...كان خياطا» [78] ولكن ما هى أنواع الغزل الذي يخاط؟ نجد ممن يصنع العمر[79] ويبدو أن الطلب كثير علي صنع العمر، فقد ورد في المصادر أن هناك عدد من الحرفين امتهنوا ذلك، من هؤلاء عثمان بن عيسى بن قريش الهاشمي، كان يعمل بصناعة العمر وتوفي بالهند في شعبان من عام 878هـ/1473م[80].

وأيضاً عبدالرحمن بن محمد بن عثمان البربهارى المكي العمري نسبة إلى العمر ومنها تكسب، توفى بمكة فى رمضان عام 882هـ / 1477م[81]

---

72 - جواد علي، مرجع سابق، ج7ص594.

73 - عبد العزيز إبراهيم العُمري، مرجع سابق ص 286.

74 - الفاسي، مصدر سابق ج2ص240.

75 - نفس المصدر ج2 ص374 وقيل باب الخياطين عند باب البغلة وهو احد أبواب المسجد الحرام، وكان يعرف سابقا بباب بني سفيان بن عبد الأسد، ويقع في الجدار الجنوبي للمسجد الحرام، وقد ورد تسمية باب الخياطين في القرن الثامن الهجري، وأصبح اسم باب البغلة علما على هذا الباب في العصر المملوكي، حتى هدم في التوسيعة السعودية للمسجد الحرام، انظر الفاسي، شفاء الغرام ج1ص431؛ طه عبد القادر عماره، عدنان محمد الحارثي، تاريخ عماره وأسماء المسجد الحرام، مركز أبحاث الحج، مكة 1420 هـ ص97.

76 - الفاسي، مصدر سابق ج2ص18.

77 - نفس المصدر ج3ص2120.

78 - نفس المصدر ج5ص421.

79 - العمر، نوع من المحارم مثل المناديل تغطي بها المرأة رأسها، ويطلق على كل ما يغطي به الرأس من غطاء وعمامة وغير ذلك

80 - ابن فهد مصدر سابق ج4ص575؛ السخاوي مصدر سابق ج5ص125.

81 - ابن فهد، اتحاف الورى،ج4ص631، السخاوى، الضوء اللامع ج ص 139.

وبجوار هذه المهنة وجد من أمتهن بيع الأقطان والحرائر وغير ذلك من أنواع الأقمشة والتي كانت ترد على مكة من مصر أو الشام والهند للتجارة فى أسواقها عندما كانوا يأتون لآداء الحج أو العمرة[82]، أو يقصد التجارة فيريدون إلى قيصارية مكة لبيع ما يحملونه إلى تجار مكيين لبيعه فكان منهم حسن بن أحمد بن ميمون بن أبى الفتوح قاسم التونسى المكى كان بزازاً بالقيسارية، وأيضاً حسن بن أحمد بن محمد السلمى المكى البزاز حيث كان يبيع الحرير والبز[83].

وكذلك محمد بن عثمان بن أبى بكر ويعرف بالطنبراوى نزيل مكة، كان بزازاً فى القيسارية التى بسوق العطارين عند رباط الشرابى[84]، لذا فوجد من أهل مكة من كان يلبس الحرير حتى من الذكور – رغم أن المشرع منع ذلك يقول الفاسى "محمد بن عبد اللة القاضى ...كان من أعيان زمانة حسن الهيئة يلبس الحرير[85].

وإلى جوار ذلك وجد باعة للعديد من الأقمشة بقيساريات مكة المكرمة، فكان منها الثياب الناعم والخشن حيث ورد ذلك عندما ذكر الفاسى بعض زهاد مكة مثل «أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان، المعروف بابن أفضل الزمان .....وختم أعمالة بالزهد ولبس الخشن» [86] أو يجيب بعض الفقهاء على أحد أسئلة مثال «حضرة شيخنا – أبى بكر بن القسطلانى – وقد ورد علية هذا السؤال ..... وهل يجوز لبس الناعم من الثياب؟ أم يجوز الأقتصار على الخشن من الثياب»[87] وآخر إرتبط أسمه بما يصنعه ويبيعه يقول الفاسى" وصاحبنا المحدث شهاب الدين الكلوتانى[88].

ووجد من يبيع بعض المنسوجات الغالية الثمن التى ترد من خارج مكة مثل الفراء يقول الفاسى «أحمد بن خليل بن حسن الأنصارى المكى

---

[82] - ريتشارد مورتيل، الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة فى العصر المملوكى، الرياض 1985، ص185 وما بعدها.

[83] - الفاسى، مصدر سابق ج4ص66

[84] - نفس المصدر ج2ص123، رباط الشرابى، يقع على يمين الداخل إلى المسجدالحرام عند باب بنى شيبة بناه الأمير إقبال بن، عبد اللة الشرابى المستنصرى العباسى عام 641 هـ /1243م عندما حج، ووقف علية أوقافاً بأعمال مكة، أنظر الفاسى، شفاء الغرام، جـ1ص461، 543، العقد الثمين ج3ص324- 325، حسن عبد العزيز شافعى، الأربطة بمكة الكرمة فى العهد العثمانى مؤسسة الفرقان مكة والمدينة 1426هـ/ 2005 م، ص29

[85] - الفاسى مصدر سابق ج2ص66-67.

86 - نفس المصدر ج3ص77.

[87] - نفس المصدر ج1ص327.

[88] - نفس المصدر ج2ص 291؛ السخاوى، مصدر سابق ج11ص223.

المعروف والده بالفراء»[89] . وإلى جانب بيع الثياب بأنواعه، وجد نوع آخر من الصوف يباع مثل السجاد[90]، ولا يفوتنا أن نذكر بيوت الأعراب (الخيام) والتى تصنع من الصوف، أو البسط وما إلى ذلك من الضروريات[91].

4- عاقدوالشهادة والوثائق:

لا يقوم بهذه الحرفة أى شخص حتى تتوفر فيه عدة شروط منها حسن الخط وترتيب اللفظ واتساع فى العلوم الشرعية ومعرفة نقود ومكاييل وأسماء الطرق والشوارع والأصقاع (92)، للبلد التى يكتب فيها الشهادة كما يستعين بهم القاضى فى التقدير والتثمين ويعتبر قرارهم ملزماً للأطراف المتنازعة[93] لذلك وجد عدة فقهاء وكتاب للشهادة يقول الفاسى «محمد بن عبدالكريم بن محمد بن احمد القرشى المكى، يلقب بالجمال، كان من طلبة الشافعيه بالمدرسة البنجالية الجديدة بمكة[94] وعانى بأخرة الشهادة»[95] وأيضاً "الشيخ احمد بن حسن بن الزين بن الحسن القيسى القسطلانى... وله أشتغال فى الفقة... وكان يكتب الوثائق" [96].

ويستمر الفاسى فى ذكره لكتاب الوثائق فيقول "أحمد بن أبى الخير محسن بن حسين القسطلانى المكى ... واشتغلا قليلا، وجود الكتابة، وصار يكتب الوثائق، ويسجل على الحكام، مع تأديبه للأطفال بالمسجد الحرام" [97] ، كما يقول الفاسى" عبداللطيف بن موسى بن عميرة المخزومى المكى ... كان ذا معرفة بالوثائق والفقه" [98] .

واختلف العلماء على أجرة الموثق حيث أجاز أغلبهم على أخذ الأجرة مستدل بالآية الكريمة «ولا يضار كاتب ولا شهيد»[99] ومنهم من لا يأخذ

---

89 - الفاسى، مصدر سابق جـ3صـ37؛ السخاوى، مصدر سابق جـ1صـ295.
90 - الفاسى، مصدر سابق جـ2صـ240.
91 - عبد العزيز بن إبراهيم العمرى، مرجع سابق صـ285.
92 - الونشريسى (أحمد بن يحيى ت 914 هـ /1508م) المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأدب الموثق وأحكام الوثائق، دراسة وتحقيق لطيفة حسين، المغرب 1997، صـ245.
93 - السخاوى الضوء اللامع جـ5صـ 168، حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الأثار العربية، القاهرة 1969،جـ2 صـ621
94 - المدرسة البنجاليه بناها ملك الهند، أحمد خان بن ميرخان بن ظفرخان عام 810هـ .انظر الفاسى، شفاء الغرلم، جـ1صـ366
95 - الفاسى، مصدر سابق جـ2 صـ124.
96 - نفس المصدر جـ3 صـ28.
97 - نفس المصدر جـ3 صـ136.
98 - نفس المصدر جـ5 صـ491.
99 -قرآن كريم, سورة البقرة آية 282.

أجرة [100]، لذلك كثرت المنافسة بين أصحاب الشهادة والموثقين ، ويؤكد على ذلك ابن الخطيب«ويترصدون الزبون ويتصيدون المتعاقد»[101] ولهذا اثرى بعض كاتبي الوثائق ثراء كبير يقول الونشريسى "أن القاضى إذا كتب أن يأخذ اجر كتبة، وربما أُعطىَ أضعاف أجره"[102].

ويؤكد على ذلك الفاسى فيقول «يعقوب بن إبراهيم المعروف بأبى الحمد...يعقد الأنكحة، ويكتب الوثائق، وله شهرة كبيرة عند العرب، ويعتمدون عليه، وفيه خير ومروءة وعقل، وملك عقاراً بوادى نخله»[103]. وللشاهد اجر على شهادتة فقيل الأجر المدفوع دينار، وقيل درهمان [104]، تمشياً مع قول الله تعالى "ولا يضار كاتب ولا شهيد"[105] ووجد من ينادى بألاّ تؤخذ أجرة على الشهادة تمشياً مع قول الله تعالى "وأقيمو الشهادة لله"[106].

5- حرفة نسخ الكتب والوراقة:

مارس الوراقة ونسخ الكتب عدد لا بأس به من أبناء مكة المكرمة ومجاوريها، فأسهموا بنصيب وافر فى إثراء الحياة العلمية والإقتصادية، فمن مارس مهنة نسخ الكتب الكثير من النساخ والعلماء يقول الفاسى "أحمد بن محمد الدمنهورى العطار بمكة ... وكان مع ذلك ينسخ كتباً" [107] وكذلك مارسها بعض أبناء الأسر العلمية بمكة مثل "محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن فهد، وهو من كتب بخطه جملة من الكتب والفوائد، رغم أنه توفى ولم يتجاوز الثامنة عشر من عمره[108]. وأيضاً محمد بن على بن محمد القسطلانى (ت 757 ه) وكان من الوراقين المشهورين بكثرة النسخ[109].

ومن هؤلاء المجاورين والنزلاء ممن جعل العمل فى النساخة مصدراً للرزق يقتات به، على سبيل المثال "ابراهيم بن محمد بن حسين القاهرى

---

100 - ابن الخطيب (لسان الدين ت 776ه / 1374م) مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة، تحقيق عبدالمجيد التركى، الجزائر 1987م، ص23- 24؛ الونشريسى، مصدر سابق ص260.

101 - ابن الخطيب، مصدر سابق، ص66.

102 - الونشريسى، مصدر سابق ص267.

103 - الفاسى، مصدر سابق ج7 ص471، بوادى نخله،

104 - الونشريسى، مصدر سابق ص256،291 - 292.

105 - قرآن كريم, سورة البقرة آية 282.

106 - قرآن كريم, سورة الطلاق آية 2.

107 - الفاسى، مصدر سابق، ج3ص157-158.

108 - نفس المصدر، ج2ص342.

109 - نفس المصدر، ج1ص417- 418، ج2ص212، ج2ص319، ج3ص158، ج6 ص457.

المعروف بالموصلى ت 815 هـ/1412م[110] ، وكذلك محمد بن اسحاق الخوارزمى ت 827 هـ/1423م كان كثير الكتابة، كما كان يرسم صفة الكعبة والمسجد الحرام فى أوراق ويهادى بها الناس فى الهند وغيرها وكان ممن يسافر للهند طلباً للرزق[111] .

أما الوراقون فقد شارك فيها للبيع أو للشراء كثيرون منهم محمد بن خالد بن حمدون الهادى الهنديانى الجوينى ت 687 هـ/1288م الذى شُهر بالتجارة فى الكتب[112]. ومما يؤكد نشاط حركة تسويق الكتب واتساع نطاق هذه التجارة – أيضا- فى مكة ما يطالعنا به الفاسى من معلومات حول بيع الكتب المستعملة أو التركات مثال ذلك يقول الفاسى "وقد سمعت شيخنا الحافظ زين الدين العراقى يقول: انه اجتمع مع ضياء الدين محمد بن محمد بن سعيد بن عمر الصغانى الهندى نزيل مكة المكرمة (ت 780 هـ/1278م) فى بيع تركة كتب فى مكة "وكان تجمع الناس المتكرر بمكة وتكاثرهم فيها للعمرة والحج فرصة لكثير من يستغنى عن كتبه أو يحتاج إلى قيمتها فيضطر لبيعها للإستفادة من قيمتها لتغطية متطلباته [113] .

إضافة إلى النساخين وجد من يقومون بتزويد المحتاجين بالكتب، إضافة لما يتم بيعه من تركات العلماء واصحاب المكتبات الخاصة[114]. كل ذلك أثرى سوق الكتاب بمكة المكرمة. ويستمر الفاسى فى رصد الكتّاب من علماء مكة فيقول "عبداللطيف بن موسى المخزومى المكى ... اشتغل فى العربية، وجود الكتابة" [115].

وممن أمتهن هذه الحرفة وأثرى منها يقول الفاسى "عثمان الشحرى الناسخ نزيل مكة، جاور بها على طريقة حميدة بضعاً وعشرين سنة أو أزيد، وكتب بها كتباً بخطه للناس بالأجرة"[116]، وأيضاً "عيسى بن أحمد بن عيسى الهاشمى العجلونى، جاور بمكة سنين كثيرةوكان يجيد الكتابة، ويكتب بخطه كتباً كثيرة...وتوفى فى آخر صفر سنة ثلاث وعشرة وثمانمائة بمكة"[117] ، وممن أثرى فى هذه الحرفة أحمد بن محمد بن عماد الدمنهورى،

---

110 ـ الفاسى، مصدر سابق، ج3ص249.
111 ـ نفس المصدر، ج1ص412.
112 ـ نفس المصدر، ج2ص12، 13.
113 ـ نفس المصدر، ج2ص292-293، 400.
114 ـ نفس المصدر، ج2ص292-293.
115 ـ نفس المصدر، ج5ص491.
116 ـ الفاسى، مصدر سابق، ج6ص57.
117 ـ نفس المصدر، ج6ص457.

وحصل دنيا وملكاً أنشأه بناحية الحزورة[118]. ووجد من أثرى مكة بكثرة ما كتب يقول الفاسي "محمد بن اسماعيل بن يوسف بن عثمان المقرى الشهير بالحلبى نزيل مكة المشرفة ... أنه كتب مصحفاً بالرسم العثمانى ... ووجدت بخطه: أنه كتب مائة وأربعة وثمانين مصحفاً، وربعة، بقطع لطيف وكبير، جميعها مكتوباً ومضبوطاً على الرسم العثمانى ...وأن بعض ما كتبه من هذا العدد، وذلك أزيد من الربع مكتوب بالقراءات السبع وعدة علوم ... حببّه الله فى كتابة القرآن، ووفقه[119].

6- دباغة الجلود وصباغتها وتصنيعها:

حرفه تقوم علي إصلاح جلود الحيوانات وإبعاد الصوف والشعر منها وتليينها وتنظيفها وتبديل رائحتها لكي تكون صالحه للاستفادة منها، والمكان الذي يتم إصلاح الجلود فيه ودبغها يسمى المدبغة.

وأولى الخطوات بعد استلام الجلد والذى يكثر بمكة نظراً لكثرة الولائم والإحتفالات، يقوم الدباغ بمعالجته حتى لا يفسد أو يتعفن باستخدام مواد يؤتى بها من اليمين مثل القرظ الذى يصدر إلى مكة[120] والتى تأتى فى المرتبة الثانية فى دباغة الجلود بعد الطائف، لذلك وجد عدد من الحرفيين ومنهم يذكر الفاسى "يوسف بن نصر ... ويعرف بالدباغ" [121] .

وتقوم على الجلود الكثير من الحرف ولكن الفاسى لم يخبرنا سوى بحرفة واحدة تقوم على الجلود ألا وهى حرفة السروج يقول الفاسى "أبو الحسين أحمد محمد بن السراج"، وكذلك "محمد بن أيبك السروجى" [122] ، ولم يرد حرف أخرى غير ذلك والبحث – كما هو معلوم – مقتصر على الحرف التى وردت فى كتاب الفاسى.

7- حرفة النجارة:

---

118 - الفاسى، مصدر سابق، ج3ص158، الحزورة، عوام مكة يصحفون الحزورة ويقولون عزورة بعين مهملة، وهذا تصحيف من قديم، والحزورة الرابية الصغيرة، وكان عندها سوق الحناطين بمكة وهى من أسفلها عند منارة المسجد الحرام التى تلى أجياد، وقيل هى فى شرق مكة أو تكن هذا تصحيف صوابه سوق مكة. انظر الفاسى، شفاء الغرام ج1ص122.

119 - عبد العزيز بن ابراهيم العمرى، مرجع سابق، ص280.

120 - ابن المجاور (جمال الدين ابن الفتح يوسف بن يعقوب ابن محمد ت 626هـ/1229م) صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماه تأريخ المستنصر، اعتنى بتصحيحها وضبطها اوسكر لوفغرين، ليدن 1951،ص32.

121 - الفاسى, مصدر سابق، ج7ص499.

122 - الفاسى, مصدر سابق، ج1ص473،308.

عرفت النجارة لدى عرب الحجاز منذ القدم ، فقد كانت النجارة حرفة مكملة لحرفة البناء، فلا يكاد يتم البناء إلا بها، حيث ثقف المنازل والمساجد بالخشب ثم الأبواب والشبابيك ، لذلك لا يوجد مجتمع لايحتاج للنجارة . ويخبرنا الفاسي بأحد نجارى مكة يقول(محمد بن أحمد بن على المكى ... كان نجاراً خيراً) [123] ولم يفدنا الفاسى بما يقوم بة النجار من حرف سوى صناعة السُرُر والتوابيت التى يحمل فيها المتوفى، يقول الفاسى «وحمل فى تابوت [124]» ومرة أخرى يذكره الفاسى باسم المحمل [125]، أما ذكره عن صناعة السُرُر، ويقول الفاسى «احمد بن أبى البركات محمد...ابن ظهيرة القرشى...عجز عن الحركة والمشى لسقوطه من سرير مرتفع الى الأرض» [126].

8- حرفة البناء:

عرف سكان مكة المكرمة حرفة البناء، نظراً لضروريتها للإنسان على مر تاريخه وقد أقام سكان مكة المكرمة المبانى حسب حاجتهم وختلف أنواعها حيث وجد من يقوم بالبناء فى كل مكة وضواحيها.

ويخبرنا الفاسى بعدة حرف قامت على أكتاف البنائيين، فمن هذه الحرف بناء المساكن فقد قامت حركة عمرانية فى مكة نظراً لكثرة دخل أهل مكة من الصدقات والتجارة، فيقول الفاسى «عبد الرحمن بن محمد بن على بن عقبة المكى ... يخدم الناس كثيراً فى العمارات، وكان خبيراً بالهندسة والعمارة، وباشر ذلك مدة سنين، ثم ترك العمارة، واستفاد دُنيا وعَقاراً... مات بمكة فى ليلة الجمعة تاسع عِشرى الحجة سنة ست وعشرين وثمانمائة وقد بلغ السبعين»[127] ، وبعد بناء المنازل يأتى دور النقاش مثل محمد بن أبى الفتح الواسطى النقاشى[128]، ثم يأتى من يزوق السقوق مثل محمد بن أبى بكر الكرانى الهندى المكى [129] .

كما كان لأربطة مكة المكرمة دور كبير فى ازدهار العمارة حيث سعى سلاطين وأمراء العالم الإسلامى إلى عمل الخير بمكة المكرمة، فقاموا

---

123 - نفس المصدر، جـ1 صـ331.
124 - نفس المصدر قجـ4 169،جـ5صـ57
125 - نفس المصدر جـ1صـ471.
126 - نفس المصدر جـ3صـ170.
127 -الفاسى مصدر سابق جـ5صـ404
128 - نفس المصدر, جـ2صـ257
129 - الفاسى) مصدر سابق جـ1صـ433

بأنشاء الأربطة للفقراء والمجاورين، لذلك نجد الفاسى كثيراً مايذكر بعض فاعلى الخير مثل «شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن على الجزرى الدمشقى الشافعى ... تطوع بمائتى مثقال لعمارة رباط رمثت»[130] ... وصار حسناً»[131]

وإلى جوار الأربطة وجد من قام ببناء الحصون لحماية القرى من غزو الأعراب والتى كانت كثيراً ما تهاجم القرى ومحامل الحج وطرقة. لذلك قام امراء مكة المكرمة ببناء الحصون ويخبرنا الفاسى عن احد الذين قاموا ببناء حصن فيقول «محمد بن احمد بن المسيب اليمنى ... وبنى حصن بنخلة يسمى العطشان»[132] ولكثرة مايرد على مكة من علماء وفقراء وطلاب علم، إلى جانب سكانها أقيمت مقبرة كبيرة ورد ذكرها فى كثير من المصادر وهى المعلاة وغيرها لذلك وجد كثير من بناة المقابر بمكة المكرمة، والتى تقوم أولاً على تجهيز الحجارة ونقشها مثل« محمد بن بركات بن أبى حزمى فتوح المكى ... كان كعمه ينقش أحجار القبور وغيرها»[133].

والى جانب المقابر وجد من كان يمتهن حفر الأبار والتى كانت المصدر الرئيسى لسد حاجة السكان والحيوانات من مياه الشرب، إضافة الى حاجة سكان مكة المكرمة للماء فى النظافة والطهارة وغيرها. لذلك أهتم أمراء مكة المكرمة وغيرهم بحفر آبار على طريق القوافل ومحمل الحجاج، لذلك وجد أناس مختصون قاموا بالحفر، وهم على دراية ومعرفة بأماكن وجود الماء فى باطن الأرض وقربه وبعده وذلك بواسطة شم التراب، أو بمعرفة بعض أنواع النبات أو بحركة بعض الحيوانات فى المنطقة أو بوضع أذنه على الأرض» [134].

ويقوم بعملية الحفر عمال على معرفة بطرق الحفروحماية البئر من السقوط، يخبرنا الفاسى ببعض من أنفق على الحفر "إقبال بن عبد الله، المعروف بالشرابي المستنصري العباسي، الأمير شرف الدين .... ومن

---

130 ـ رباط رمثت، أنفق على بناءة الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن الحسين الفارسى، وقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب المرقعة من سائر العراق، وتاريخة 529 هـ/1134م، وكان قد احترق جانب كبير من هذا الرباط يوم 802/11/28 ه /1369م، فقام شمس الدين محمد بالصرف على إعادة إعماره. انظر الفاسى، شفاءالغرام، جـ1 صـ530؛ حسين عبد العزيز شافعى، مرجع سابق، صـ24-27.

131 ـ الفاسى، مصدر سابق، جـ4 صـ138، 155

132 ـ نفس المصدر, جـ1صـ387.

133 ـ نفس المصدر, جـ1صـ423.

134 ـ محمود شكرى الألوسى، بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثرى، القاهرة 1342هـ، جـ3ص343، عبد العزيز بن إبراهم العمّرى، مرجع سابق صـ193 – 194.

المأثر التي صنعها بظاهر مكة:عمارة عين عرفه[135]، والبرك التي بها، بعد عطلتها وخرابها عشرين سنة، وتوفي عام 653هـ/1255م، ودفن في بيغداد"[136] وما أكثر من آبار مكة المكرمة، وبالبحث لم نجد عند الفاسي أحد الحفارين، لذلك أكتفينا بمن ينفق علي الحفر كنموذج لوجود آبار قام الحرفيون بحفرها.

9- صناعة الأواني الفخارية:

ومن الصناعات التي مارسها بعض أهالي مكة المكرمة صناعة الفخار، حيث كان يجلب من مناطق معينه الطين وغيره لصناعة الأواني الفخارية، [137] والتي تصنع بحاره بجوار حارة سوق الليل[138]، تحتوي الحارة علي أفران معظم وأغلب الإنتاج من الجرار المستخدمة في حمل ماء زمزم، ومن هؤلاء الصناع أبا نصر بن أبي الفخار بمكة [139] كما كان يصنع الإبريق، يقول الفاسى "في إن إبريقه الفخار - محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الإدريسي - بيع بثلاثمائة وستين درهما[140].

10- التعدين وصناعة المعادن:

ولحاجة الإنسان إلى المعادن ظهرت عملية التنقيب عنها واستخلاصها من المواد الغريبة المختلطة بها، كما اشتغل الصناع في خلط المعادن لإيجاد أنواع جديدة منها، ويعتقد أحد المؤرخين أن الذين يعملون في مثل هذه الصناعة لابد أن تكون له معرفه بالسحر لأنهم كانوا يستخدمونه في عملهم، لذلك كانت هذه الأعمال كثيرا ما تترك لأهل الذمة أو الموالي والعبيد [141]، في حين أن العرب كانوا ينظرون إلى هذه المهنة وغيرها نظره ازدراء

---

[135] - عين عرفة (عين زبيدة) وتنسب إلي السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد، لما شعرت بحاجة أهل مكة الى المياه خصوصا في الموسم (بعرفة) فأمرت المهندسين بإيصال الماء إليها في الحال وصرفت في ذلك أموال طائلة فأجرت من عين نعمان وغيرها في قناة إلى جبل الرحمة ثم من هناك الى المزدلفة ثم الى منى وتصب فى بئر عظيمة مطوية من عمل زبيدة وأصبحت لها مكرمة عظيمة. للمزيد أنظر عاتق بن غيث البلادى، معجم معالم الحجاز، دار مكة المكرمة، مكة المكرمة 1398هـ/ 1978م صـ241.

[136] - الفاسى، مصدر سابق ، جـ3صـ325 .

[137] - الازرقي، مصدر سابق،جـ2صـ255.

[138] - سوق الليل، أحد أسواق مكة المكرمة، ويباع فيه الأثاث القديم، وتجارة الجملة فى الفواكه والخضروات، وقد أزيل عند توسعة الحرم، وكان يقع فى جهة الساحة الشرقية اليوم، أنظر ضيف الله يحيى الزهرانى، عادل غباشى، تاريخ مكة المكرمة التجارى، مكة المكرمة 1418هـ/1997م،صـ86.

[139] - الفاسى، مصدر سابق ،جـ1صـ406.

[140] - نفس المصدر، جـ2صـ300.

[141] - أحمد أمين، فجر الإسلام، القاهرة 1978، صـ24.

واحتقار[142]، ولكن مع مرور الزمن وجد المسلمون أن لهذه الحرف دوركبير في المجتمع ، إلي جانب ما تدره من مكاسب [143] ، لذلك أورد الفاسي الكثير ممن امتهن هذه الحرفة مثال ذلك "ابن الحداد المهدوى" [144] وكذلك "الحسن بن صالح أبو علي الحداد" [145].

وهؤلاء الحدادون قاموا بصناعة الكثير من الأدوات الحديدية مثل السلاح والسكاكين[146]، ومنهم من كان يقوم بصناعة النحاس مثل محمد بن أبي بكر النحاس [147]، و إلى جوار ذلك قام الصناع بصناعة القناديل[148]، حيث كثر استعمالها لإناره المسجد [149]، كما رصد الفاسي الصاغة سواء صناع أو باعة نظراً لكثرتهم بأسواق مكة المكرمة، وفى حي المعلاه وجد أحياء صغيرة فيها حوانيت خاصة بصناعة الحلي من الذهب والفضة، ونجد إقبالا كبيراً من الرجال والنساء [150]، وكان هناك ممن يقومون بحرفة الصياغة وبيعة في السوق مثل «محمد بن إسماعيل الصائغ» [151]، ولم يشر الفاسى هل كان صائغاً أم بائعاً؟!

الخاتمة

142 - الأزرقى مصدر سابق، جـ2 صـ239، 256، الطبرى، مصدر سابق، جـ7 صـ 528، 530، 540.
143 - الحميرى (محمد عبد المنعم ت 866ه / 1463م) الروض المعطار فى خير الأقطار، تحقيق احسان عباس، لبنان 1984، صـ306.
144 - الفا سى، مصدر سابق جـ2 ص231
145 - نفس المصدر،جـ4 ص80.
146 - نفس المصدر،جـ4 ص243.
147 - الفاسى، مصدر سابق جـ1 ص384.
148 - نفس المصدر،جـ 2 ص23.
149 - العز بن فهد، بلوغ القرى، جـ2 ص720.
150 - ابن سعد، الطبقات، جـ5 ص490 بوركهارت، جون لويس، رحلات فى شبة الجزيرة العربية، ترجمة عبدالعزيز صالح الهلابى، عبدالرحمن عبدالله الشيخ، بيروت 1413هـ/ 1992م ص120.
151 - الفاسى، مصدر سابق جـ1 ص407.

من الدراسة السابقة يتضح لنا مدى أهمية كتب التراجم فى رصد كافة شئون الحياة وخصوصاً العلمية والسياسية والاقتصادية، وبالبحث الدقيق وجد أن المترجم لهم كان لهم دور في ازدهار الحياة الاقتصادية من خلال حرفهم التي يتعايشون منها، لذلك قدم لنا الفاسى صورة مشرفة من فقهاء وعلماء وأدباء نسبوا إلي حرفتهم التي يقومون بها أو أمتهنها رب العائلة، فأصبحت شرف لعائلتهم ومن خلال ذلك وجد أن هؤلاء الفقهاء والأدباء والعلماء أثروا المجتمع المكي بما امتهنوه من علم وحرفة يرتزقون منها حتى لا يكونوا عالة على السلطة الحاكمة أو ينتظرون الصدقات، أو يكونوا عاله علي غيرهم.

وبعد البحث الدقيق وجد أن الفاسى لم يرصد كافة الحرف والصناعات أنما ذكرها عابراً من خلال رصده لحياة عالم أوفقيه أوأديب لذلك جاءت الحرف غير مكتملة الأبعاد مما دفع الباحث للبحث عن اكتمال الصورة في المصادر المعاصرة للفاسي دون الاسهاب حتى لاتخرج عن إطار البحث.

ولذلك قمنا باستعراض بعض الحرف التي قام بها أعلام مكة المكرمة وأثروا المجتمع المكي، فوجدنا مجموعة من المجاورين اشتركوا في بعض الحرف إلي جانب أمتهان المسلمين من غير العرب لحرف كانت في عصر سابق محتقرة في نظر العرب, ولكن مع الوقت والمكاسب التي تعود عليهم منها شاركوا فيها وأصبح لهم خبرة فيها مثل صناعة التعدين، كما استعرضنا حرف لم يشر إليها الفاسى إلا في عُجالة لكونها حرفة عمال ذوى خبرة لم تقتصر على الأدباء أو العلماء أو الأمراء، ولكن ازدهرت في مكة المكرمة بتشجيع أصحاب القلوب الرحيمة من أهل مكة وما يأتي إليها من حجاج ومعتمرين، وهى حرفة حفر الآبار والبرك وإصلاح قنوات الري والعيون.

واستعرضنا حرفة العطارة حيث وجدناها مرتبطة بالصيدلة والتي تنبع من خبرة بيع الأعشاب المختلفة التي تستعمل في أمور عدة منها علاج المرضي، فوجدنا مدى كثرة العطارين بمكة المكرمة وانتشارهم بها، لدرجة وجود سوق خاص بهم، لذلك أسهب الفاسى في الترجمة لأعلام أرتبطت أسماؤهم بحرفة العطارة سواء بيعها أو إستيرادها من منبعها، أو ممارسة العلاج بها.

أسأل الله إن أكون قد أديت ما ينبغي عمله لهذه البحث من إبراز الدور الحضاري لعلماء وأدباء وفقهاء أتمت حياتهم بالعلم والبحث،ولكن بالبحث أظهرنا لهم دور فعال في خدمة الحياة الاقتصادية ببلد الله الحرام.

كما أرجوا أن أكون قد لفت نظر الأخوة الباحثين إلي الاهتمام بكتب الطبقات والتراجم. وإلقاء الضوء من خلالها علي جوانب حضارية واقتصادية واجتماعية، تكون غالباً متوارية خلف ترجمة علم من الأعلام، أو في ثنايا حوادث سياسية وعسكرية،

سائلين الله العلى القدير أن يوفق الجميع لتحقيق الآمال والطموحات لكل مجتهد.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

1- قران كريم:

2- الأزهرى:

- تهذيب اللغة،تحقيق عبدالله درويش، مراجعة محمد على النجار، القاهرة (د.ت).

3- ابن إياس: أبوالبركات محمد بن أحمد (ت 930هـ/ 1524م).

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة 1963م.

4- الأزرقى: أبى الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد (ت 223 هـ /837م).

- أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تحقيق رشدى ملحس، مكة المكرمة 1416هـ/ 1996 م .

5 – البغدادى : عبدالمؤمن عبدالحق (ت 739هـ /1338م).

- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق على محمد البجاوى، بيروت 1954م.

6- الجزيرى: عبدالقادر بن محمد(ت 976هـ/1569م).

- درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق ودراسة حمد الجاسر، الرياض 1403هـ/1983م .

7- الجوهرى: اسماعيل بن حماد (ت393هـ/1003م).

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، بيروت لبنان 1984م.

8- الحميرى: محمد بن عبدالمنعم (ت 866هـ/1463م).

- الروضى العطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، لبنان 1984.

9- الخزاعى: على بن محمد بن سعود (ت 789هـ/1378م).

- تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعملات الشرعية تحقيق إحسان عباس, بيروت 1985م.

10- ابن الخطيب: لسان الدين (ت 776هـ/1374م).

- مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة، تحقيق عبدالمجيد التركى، الجزائر 1987.

11- ابن خلدون: عبدالرحمن(ت 808 هـ / 1405م) .

- المقدمة، بيروت 1398هـ/1978م .

12- الزبيدى : محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى محمد الحسينى الوسطى (ت 1205هـ/ 1805م)

- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالفتاح الحلو مراجعة مصطفى حجازى، الكويت 1984م.

13- السخاوى: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت 902هـ/1496م).

- الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع، القاهرة 1355هـ .

14- ابن سعد: محمد بن منيع الزهيرى (ت 230هـ/844م).

- الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عطا، بيروت 1410هـ/1990م .

15- الطبرى: محمد بن جرير(ت 310هـ/922م).

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف القاهرة 1979م.

16- عمر بن فهد: نجم الدين (ت885هـ/1480م).

- أتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت، مكة المكرمة، 1404هـ/1984م.

17- العز بن فهد: عبدالعزيز بن محمد (ت 922هـ/ 1516م).

- بلوغ القرى بذيل إتحاف الورى بأخبار أم القاهرة، تحقيق صلاح الدين خليل إبراهيم وآخرون، القاهرة 2004م.

18- ابن عماد الحنبلى: عبدالحى بن عماد(ت 1089هـ/1678م).

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، بيروت 1399هـ/1979م.

19- الفاسى: تقى الدين محمد بن أحمد الحسينى المكى (ت 832هـ/1428م).

- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين تحقيق فؤاد السيد، القاهرة 1964م.

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمرى، بيروت 1985م.

20 – الفاكهى:عبد اللهبن محمد بن إسحاق (ت 272هـ/ 885م) .

- أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثة، تحقيق عبدالملك بن دهيش مكة المكرمة 1407هـ/1986م.

21- ابن قتيبة: محمد بن عبدالله بن مسلم(ت 276هـ/981م).

- عيون الأخبار، القاهرة 1925م .

22- ابن المجاور: جمال الدين بن الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت 626هـ/1229م).

- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماه تأريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحها وضبطها أوسكر لو فخرين، ليدن 1951م.

23- المجليدى: أحمد بن سعيد من علماء القرن(6هـ /12م).
- التيسير فى أحكام التسعير، تحقيق موسى إقبال الجزائر 1970م .
24- المقريزى: تقى الدين أحمد بن على (ت845هـ/442م).
- المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة 2004م .
25- الإمام مالك:أبن أنس (ت 179هـ/795م).
- الموطأ، تقديم فاروق سعد، بيروت 1401هـ/1981م .
26- ابن منظور: محمد بن مكرم بن على(ت 711هـ/1311م).
- لسان العرب، دار المعارف، القاهرة (د .ت)
27- الونشريسى: أحمد بن يحيى (ت 914هـ / 1508م).
- المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأدب الموثق وأحكام الوثائق، دروٴاسة وتحقيق لطيفة حسين، المغرب 1997م .
28- ياقوت الحموى: شهاب الدين أبى عبدالله (ت 626هـ/1228م).
- معجم البلدان، دار صادر بيروت 1977م.

ثانيًا المراجع:

1- إلهام أحمد البابطين:
- الحياة الأجتماعية فى مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموى، الرياض 1419هـ/1998م.
2- بوركهارت: جون لويس:
- رحلات فى شبه الجزيرة العربية، ترجمة عبدالعزير صالح الهلابى، عبدالرحمن عبدالله الشيخ، بيروت 1413هـ/ 1992م.
3- جواد على:
- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد 1978م.
4- حسين عبدالله باسلامه:
- عمارة المسجد الحرام، مكة المكرمة (د .ت).
5- حسن باشا:

- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة 1969م.

6- حسين عبدالعزيز شافعى:

- الأربطة بمكة المكرمة فى العهد العثمانى، مؤسسة الفرقان، مكة المدينة، 1426 م .

7- ضيف الله يحيى الزهرانى، عادل غباشى.

- تاريخ مكة المكرمة التجارى، مكة المكرمة 1418هـ/1997م .

8- ريتشارد مورتيل:

- الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة فى العصر المملوكى، الرياض 1985م.

9- طه عبدالقادر عمارة، عدنان محمد الحارثى:

- تاريخ عمارة وأسماء المسجد الحرام، مركز أبحاث الحج، مكة المكرمة 1420 هـ.

10- ظاهر خير الله الشويرى:

- الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف، القاهرة 1904م.

11- عبدالعزيز بن ابراهيم العُمرى:

- الحرف والصناعات فى الحجاز فى عصر الرسول ﷺ، الرياض 1420 هـ.

12- عاتق البلادى:

- معجم معالم الحجاز، دار مكة المكرمة، مكة المكرمة 1398 هـ / 1978م .

13- محمود شكرى الألوسى:

- بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثرى، القاهرة 1342م.

14 - مصطفى عبدالكريم الخطيب:

- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة بيروت 1996م.